التعليم في عهد الملك عبدالعزيز

الشيخ عبدالله بن إبراهيم السليم(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ وبعد : فإن الحديث عن جلالة الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - طويل وذو شجون وفنون، لا يستطيع أي إنسان مهما كان بليغًا ومطلعًا أن يأتي على جميع ما قام به هذا البطل، وما مَنَّ الله به عليه بأن جعله رحمةً للمسلمين ونصرة للدين، جمع الله به الشمل المتفرق، ورعى به المصالح الضائعة، وقضى به على العصبيات، ووحَّد به أجزاء البلاد. وإن المتتبع لقضايا التاريخ وما طرأ على أحوال المسلمين من ضعف بعد قوة وخوف بعد أمن ونهب وسلب ما هو إلا من عند أنفسهم بتركهم العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بدليل

---

(١) عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن سليم (١٣٣٢ - ١٤١٨هـ) .

ولد بمدينة بريدة سنة ١٣٣٢هـ ، ونشأ وتعلم فيها على والده في كُتّابه المعروف ، كما دَرَسَ في مدرسة أخواله آل سيف ، ثم تولى إدارة المدرسة ، وطورها وجعلها شبيهة بالمدرسة النظامية . كانت بداية خدمته الحكومية في مديرية الأوقاف سنة ١٣٥٢هـ ، ثم انتقل إلى وزارة المعارف معلمًا سنة ١٣٥٨هـ ، وفي سنة ١٣٦٧هـ صدر الأمر من الملك عبدالعزيز بتعيينه مديرًا للمدرسة التذكارية بالرياض ، ولما افتتح المعهد العلمي بالرياض عين مديرًا له سنة ١٣٧٥هـ ، وعند عودته إلى بريدة كلف بافتتاح معهد للمعلمين فيها ، وأصبح مديرًا له سنة ١٣٨٦هـ ، واستمر في أداء مهام عمله مديرًا لمعهد المعلمين في القصيم ، ثم موجه تربية إسلامية حتى أحيل إلى التقاعد سنة ١٣٩٥هـ . توفي في الرياض سنة ١٤١٨هـ . ومن مؤلفاته : كتاب "التقويم المبسط المفيد" بالتوقيت الغروبي ، ووصل فيه إلى سنة ١٣٥١هـ .

انظر في ترجمته : عبدالرحمن السبيت وآخرون : كنت مع عبدالعزيز ، المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، الرياض ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م ، ص ٢٣٦ -٢٥٩ .

مصلحة معاشات التقاعد : أرشيف المتقاعدين ملف رقم ٦١٦٨٨ .

عبدالعزيز بن إبراهيم العمري ، مجلة الفيصل ، ع ٢٢ ، ص ٥٤ ، ٥٨ .

قوله تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾(٢). فشخَّص - يرحمه الله - الداء وعرف العلاج، وهو الرجل المسلم الذي آمن بأن مبادئ الإسلام التي دعا إليها خاتم الأنبياء محمد ﷺ يوم أن بعثه الله رحمة للعالمين وحجة على الكافرين، فآمن بها الناس، وصدقوها، وأصبح المسلمون بفضل الله تعالى ثم باعتناقهم لهذه الدعوة أمةً قوية عزيزة مرهوبة الجانب، هي التي بعينها جعلها جلالة الملك عبدالعزيز نصب عينيه ولا شك ولا ريب أن من عمل في ضوء تعاليم الإسلام حسب أوامره ونواهيه أن يقوى أمره وأن يعز جانبه، وأن من أهمل تعاليمه ولم يعرها اهتمامه، واستمد العزة والقوة من غير طريقه فإن الذلة والضعف والمهانة والاحتقار حليفه.

ويخبرنا التاريخ أنه قد مرت على الجزيرة آلاف السنين والحكم فيها لمن غلب، غزو ونهب، أخذ وسلب، لا أمن فيها لضعيف، ولا سلامة لأعزل، ولا ملجأ لخائف؛ لم تعرف الاستقرار، ولم تذق طعم الراحة إلا مرة واحدة في عهد ظهور الإسلام، حيث يعملون بأحكام الكتاب والسنة، وفي بضع سنوات من حكم الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - الذي أقيم على التوحيد وعلى العقيدة الخالصة انقلب أهل المضارب والخيام إلى سكان مدن وقرى، ورغم سعة البلاد وترامي أطرافها، وأصبحت المملكة العربية السعودية مضرب الأمثال في الأمن والرخاء والاستقرار. قضى ـ يرحمه الله - قرابة نصف قرن لم يختلف فيه نظام حياته إلا لطارئ؛ مجالسُه عامرة بذكر الله يعنى بتربية أولاده بنفسه، ويدربهم على مكارم الأخلاق.

هذا شيء قليل من أعماله؛ ولكنني سأتحدث عن نقطة واحدة تتعلق بجانب واحد من جوانب أعماله الجليلة، ألا وهو التعليم في مبدأ مراحله الأولية، حيث قد تشرفت بأن أكون مديرًا لمدرسة في عهد جلالته ـ يرحمه الله ـ وأن أحظى بشيء من نصائحه وإرشاداته؛ فعندما أصدر جلالته أمره الكريم بفتح تسع مدارس في الملحقات في مكة والمدينة وجدة والطائف والرياض وبريدة وعنيزة والحساء وحائل، أعلنت مديرية المعارف العامة في صحيفة أم القرى الأمر الكريم، وبأن من فيه كفاءة من أهالي تلك البلاد ويرغب العمل في المدارس فعليه أن يتقدم بطلبه لمديرية

---

(٢) سورة الشورى ، الآية ٣٠ .

المعارف العامة في مكة المكرمة، وكان مدير المعارف آنذاك السيد/طاهر الدباغ، فتقدم من تقدم من أهالي البلاد المشار إليها، ولم يتقدم من أهالي بريدة أحد، وكنت في ذلك الوقت مدير مدرسة أهلية أعلِّم فيها القرآن الكريم والتوحيد ومبادئ التجويد والخط والإملاء والحساب كما يوجد في بريدة عدد من الكتاتيب، ولكن أكثرها مقصور على تعليم القرآن فقط وعلى الطريقة القديمة، والدراسة في ذلك الوقت قاسية جدًا، والإقبال عليها من الصعوبة بمكان؛ لما في الناس من الحاجة، ويلاقون عنت الرحلات والكفاح في طلب لقمة العيش سواء في ذلك الشيوخ أو الشباب الذين غالباً ما يصحبهم آباؤهم للتدريب على المسؤوليات البيئية والاجتماعية والتعليم آخر ما يفكرون فيه؛ لأنهم في جهاد مرير مع الزمن لصعوبة الحصول على الأشياء الضرورية.

وبعدم تقدم أحد من أهالي بريدة بطلب إدارة مدرستهم عينت المعارف رجلاً فاضلاً من أهالي مكة، وبمجرد وصوله إلى بريدة لفتح مدرستهم اجتمع طلبة العلم وأعيان المدينة وقاضيهم، فكتبوا لجلالة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - كتاباً يلتمسون فيه إعفاءهم من فتح المدرسة؛ وذلك لوجود المدارس عندهم، فكتب إليهم جلالته أما وقد فتحت فلا يمكن إغلاقها بعد فتحها، وجلالته يعلم أن طلبهم عدم فتحها ليس رغبة عن العلم، ولكنه خشية أن يشوب التعليم شيء.

وهذه النقطة هي التي جعلت جلالته يعمل على فتح المدارس وتعميمها في جميع البلاد؛ لأنها هي التي بواسطتها يقضي على الخرافات، وينفي عن التوحيد ما علق به من أدران الجاهلية؛ وكان - يرحمه الله تعالى - يجل العلماء ويحترمهم، ويكرمهم غاية الإكرام، وقد كان لجلالته الفضل الأكبر في تحصيل من حصل من طلبة العلم؛ لأنه - يرحمه الله - في كل مناسبة وفي كل اجتماع، وربما سمى بعض طلبة العلم بحضور من حضر مجالسه التي تجمع كثيرًا من طبقات الشعب قائلاً : أنت يا فلان عليك مسؤولية كبيرة أمام الله وأمام إخوانك وأمام إمامك؛ أن ترشد الناس، وتبين لهم ما هم بحاجة إليه من أمور دينهم ودنياهم، فكانت مواعظه وإرشاداته أكبر حافز لطلبة العلم على أن يتزودوا من العلم، ويقووا

معلوماتهم، وربما سأل بعضهم عن مسائل يعلمها جلالته، ويعلم أن المسؤول عنها يعلمها؛ ليحفزه وغيره على الاستزادة من العلم حذرًا من أن يسأل عن شيء لا يستطيع الإجابة عليه، فهو بذلك - يرحمه الله - أستاذ الأساتذة.

ولنرجع إلى تكملة الحديث عن مدرسة بريدة، فأجاب الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - أهالي بريدة أنه لا يقصد من فتح المدرسة إلا نفعهم وأولادهم وتعليمهم ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وأن عليهم أن يختاروا من تطمئن إليه نفوسهم في تعليم أولادهم، فشكروا جلالته على ذلك، واجتمعوا ثانياً، وتبادلوا الآراء فيمن يرفعونه لجلالة الملك بطلب تعيينه مديرًا لمدرستهم، فوقع اختيارهم عليَّ، فكتبوا لجلالته بذلك، فأصدر أمره الكريم إلى مدير المعارف العام يأمره بتعييني مديرًا لمدرسة بريدة، وذلك في آخر سنة ١٣٥٦هـ، فأبرق إليَّ مدير المعارف بصدور الأمر العالي بتعييني مديرًا لمدرسة بريدة، وأن عليَّ أن أتسلم المدرسة، وأخبره بذلك برقيًا.

فاستلمت المدرسة، وأبرقت لمدير المعارف بذلك، وكانت الدراسة آنذاك ثلاث سنوات تحضيرية على ما هو متبع في الحجاز في النظام الصادر بتاريخ ١٣ رجب ١٣٤٧هـ رقم ١٤٦، ثم بعد ذلك صدر نظام المدارس الأميرية بالأمر العالي برقم ١٣٥٨/١/١٤هـ وتاريخ ١٣٥٨/٩/١٥هـ، وفيه مدة الدراسة في المدارس الابتدائية ست سنوات وفي المدارس الثانوية ست سنوات. وفي المعهد العلمي السعودي خمس سنوات. وتقبل المدارس الابتدائية من أكمل السادسة من عمره ولم يتجاوز الثانية عشرة، ويقبل في المدارس الثانوية من أتم الدراسة الابتدائية، ولم يتجاوز عمره ستة عشر عامًا. والطلاب الذين يأتون من الكتاتيب أو من المدارس الأهلية أو بعد دراسة خصوصية يقبلون في الفصول التي تؤهلهم لها معلوماتهم بعد اختبارهم من هيئة المدرسة.

سارت المدرسة سيرًا نود أن يكون أحسن مما سارت عليه، وبعد أن تخرج الفوج الأول منها، ووجد مجالاً للعمل بأن تلقفتهم الدوائر الحكومية، فتعينوا برواتب لا بأس بها في ذلك الوقت، عند ذلك أقبل

الناس على التعليم إقبالاً منقطع النظير، وقفز عدد الطلاب إلى عدد كبير.

هذا؛ والرياض حتى الآن لم تفتح مدرسته المقررة له للسبب الذي نوهت عنه إلا ما كان من مدرسة الأمراء ومعهد الأنجال ومدرسة الأيتام التي في المربع، ومدير مدرسة الأمراء آنذاك فضيلة الشيخ عبدالله خياط، ومدير معهد الأنجال الأستاذ عثمان الصالح، ولما أن قام جلالة الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ بزيارة القطر المصري، وذلك في ربيع الأول سنة ١٣٦٤هـ، وعاد بسلامة الله بعد رحلته أقام لجلالته إخواننا من أهالي جدة ومكة، حفلاً رائعًا اشتمل على الزينات والأقواس والفرح بمقدمه الميمون، وعندما أراد التوجه إلى الرياض أراد أهالي الرياض أن يعملوا مثل ما عمل إخوانهم من أهالي جدة ومكة، ولكنهم لم يجرؤوا أن يعملوا ذلك دون أخذ موافقة منه، فاستأذنوا منه فشكرهم على ذلك، وطلب منهم أن يضعوا المبلغ الذي يريدون أن يمولوا به هذا الاحتفال عند أحدهم، وعند وصوله إليهم يخبرهم عما يصرف فيه، فجمع المبلغ، وعندما وصل جلالته الرياض بسلامة الله سألوه عن الجهة التي يصرف لها هذا المبلغ، فقال جلالته : أرى أن يصرف هذا المبلغ في مبنى مدرسة لأولادكم، وهذه قطعة الأرض الموجودة في البطحاء أقيموا عليها مبناها، وتسمى المدرسة الأهلية؛ لأنها بنيت بتبرعات الأهالي، وهي المدرسة التذكارية التي أسست تخليدًا لذكرى عودة جلالته من القطر المصري. وبعد انتهاء عمارتها ظلت سنتين لم تفتح، وقد زار الملك عبدالعزيز بريدة سنة ١٣٦٦هـ، وخرجنا بطلاب مدرسة بريدة لاستقباله، وألقى طلبة المدرسة في مخيمه أناشيد الترحيب وبعض الكلمات، فأعجب جلالته بذلك، ورأينا السرور في وجهه، وأمر جلالته للذين ألقوا الكلمات بمكافأة، كان لها أكبر الأثر في نفوسهم، وقد ألقيتُ كلمة ترحيبية في مأدبة العشاء التي أقامها على شرفه سمو الأمير عبدالله بن فيصل الفرحان أمير بريدة في قصر الإمارة.

ولقد زرت جلالته في غد وصوله في مخيمه في موضع يقال له: النازية شمال شرق المباني آنذاك، وسألني عن المدرسة، فأخبرته أنها

ـ ولله الحمد ـ حسب توجيهاته وإرشاداته قد سارت على ما يريده لها، فحثني على الحرص على الطلاب وتثبيت العقيدة الإسلامية في نفوسهم وعلى إقامة الصلوات في أوقاتها، وأن يكون المعلمون مرشدين بالفعل قبل الإرشاد بالقول، وأن يتمسكوا بالأخلاق الفاضلة، وكان هذا الكلام بمحضر من العلماء وطلبة العلم ومن بصحبته من رجال الدولة. وفي أثناء حديثه عن العقيدة الإسلامية قال جلالته مخاطبًا من بحضرته من العلماء وطلبة العلم الذين جاؤوا للتشرف بالسلام على جلالته : نحن ـ ولله الحمد ـ كبار في أعين الأجانب. وحكى - يرحمه الله - حكاية عن روزفلت الرئيس الأمريكي أنه يقول له : إن الكوارث الطبيعية والأوبئة المرضية نراها تفتك بالعالم وهي مصروفة عنكم، وهذا راجع إلى دينكم.

وهو ـ يرحمه الله ـ في كل مناسبة يأمر بالتمسك بالدين والمحافظة عليه لأنه هو جلالته رأى من تمسكه بالدين وتحكيمه الكتاب والسنة العجائب.

وبعد أن رجع جلالته إلى الرياض بعد زيارته للقصيم اتصل به بعض الموظفين ملتمسين من جلالته فتح المدرسة الأهلية، فلما اجتمع عنده العلماء والأعيان قال لهم : الناس يأتون إلى الرياض لخدمتنا، ولا يليق بنا أن نهمل أولادهم بدون تعليم، والمدرسة قد انتهت عمارتها منذ سنتين، ونريد فتحها، فاختاروا من ترون لإدارتها، وكان ذلك مطلع ١٣٦٧هـ. فبعد تبادل الآراء وعلمهم بنجاح مدرسة بريدة وكون مديرها من آل سليم التي عرفت ـ ولله الحمد ـ بسلامة العقيدة ومحبتها للبيت المالك، طلبوا من جلالة الملك نقلي من مدرسة بريدة إلى مدرسة الرياض الأهلية، فصدر الأمر الكريم إلى مديرية المعارف بنقلي من مدرسة بريدة إلى مدرسة الرياض الأهلية، فسافرت إلى الرياض، وفتحتها بحفل كبير حضره جلالة الملك والعلماء وأعيان أهل الرياض ورؤساء الدوائر، وبادر طلبة العلم ورؤساء الدوائر وعامة الناس بإلحاق أبنائهم بالمدرسة؛ لأنهم بأمس الحاجة إليها، وسارت سيرًا حسنًا بما لقيته من قبول وتشجيع، ولا سيما من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - يرحمه الله - وابنيه المكرمين وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، فقد ألحقوا أبناءهم بالمدرسة، وحيث

إن من التحق بالمدرسة قد أتى من الكتاتيب ومن الدراسة الخاصة متفاوتون في المعلومات؛ صُنِّف الطلاب إلى ستة أصناف من السنة الأولى حتى السنة السادسة؛ كل حسب مؤهلة وفي الاختبار النهائي أخذت المدرسة الأهلية الأولية من بين مدراس المملكة، فكتب إليَّ فضيلة الشيخ محمد بن مانع مدير المعارف العام خطاب شكر.

وفي سنة ١٣٦٩هـ رغب بعض الموظفين الذين لا يتمكنون من الدراسة النهائية لانشغالهم بأعمالهم الوظيفية، وهم بأمس الحاجة إلى زيادة معلوماتهم فكتبوا إلى جلالة الملك بطلب فتح مدرسة ليلية يقوّون فيها معلوماتهم، فأصدر أمره الكريم بفتح مدرسة ليلية لهم، وحيث إن أكثر مدرسي المدرسة الأهلية من حملة الشهادة الابتدائية فقط ومن خريجي المدرسة نفسها عينوا فيها مدرسين للضرورة؛ لأنه في ذلك الوقت لا توجد مدارس تمنح شهادات ولا تعليم منتظم، ومدرسو المدرسة الأهلية لا يستطيعون تدريس بعض المواد كالرياضيات وغيرها؛ عند ذلك طلبت من جلالته الأمر على من نختاره من بين مدرسي معهد الأنجال ومديره المربي الكبير الأستاذ عثمان بن ناصر بن صالح ـ أمد الله في عمره ـ ففيها مدرسون منتدبون من مصر، فاخترنا منهم اثنين : أحدهما لتدريس العلوم الرياضية، والآخر لتدريس العلوم الاجتماعية، فوافق جلالته، وفعلاً تم فتح هذه المدرسة في ١٣٦٩هـ بعد سنتين من فتح المدرسة الأهلية بالمدرسة الأهلية نفسها؛ لأنها مؤثثة ومبناها جاهز، ويقبل في هذه المدرسة من يأتي بأمر من جلالة الملك أو من سمو ولي العهد، وتشجيعًا لهم على الدراسة قررت للدارسين وللمدرسين مكافأة كانت أكبر حافز لهم على مواصلة الدراسة، كما أصدر جلالته أمره الكريم بتأمين ما تحتاجه هذه المدرسة من أتاريك وغاز وغيرها من احتياجاتها؛ وذلك لعدم دخول الكهرباء إلى البيوت والمدارس في ذلك الوقت، والتحق بهذه المدرسة ستون طالبًا بما فيهم من رغب من مدرسي المدرسة الأهلية في تقوية معلوماته، وقد سارت هذه المدرسة سيرًا مرضيًا وآتت الثمرة المتوخاة منها، وعلى غرارها فتحت معاهد المعلمين الليلية، ومن بعدها المعاهد التكميلية.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العددان (٢،١) المحرم، ربيع الثاني ١٤٢١هـ، السنة السادسة والعشرون

ولما كثر فتح المدارس، وكثر حملة الشهادة الابتدائية وأقبل الناس على التعليم؛ صدر الأمر الكريم بفتح مدرسة ثانوية في الرياض على غرار مدرسة تحضير البعثات في مكة المكرمة، ولما وصل المدرسون المنتدبون من مصر للتدريس في المدرسة الثانوية في الرياض، أبرق مدير المعارف العام الشيخ / محمد بن مانع لجلالة الملك بأنه قد وصل مدرسو المدرسة الثانوية، ونظرًا لجدّ مدير المدرسة الأهلية وإخلاصه أرى أن يرفَّع إلى إدارة المدرسة الثانوية، وأن تفتح في المدرسة الأهلية، فأجابه – يرحمه الله – بما نصه : " رأيكم مبارك ونوافق عليه ". فصدر الأمر بترفيعي إلى إدارة المدرسة الثانوية، فكنت أقوم بإدارة المدرسة الأهلية والثانوية والليلية وجميعها في مبنى المدرسة الأهلية.

ولما أنشئت أول وزارة للمعارف وعُيِّن فيها جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز – يحفظه الله ويمد في عمره – في أول سنة ١٣٧٣هـ. بعد أن كانت المعارف مديرية محدودة أصبحت ـ ولله الحمد ـ وزارة كبرى ذات جهاز ضخم، فشمر عن ساعد الجد وأولى التعليم جميع اهتمامه وجميع وقته، وعمل ـ يحفظه الله ـ جادًا في سبيل تطويره في جميع التخصصات.

وشهدت المملكة العربية السعودية نهضة شاملة في مختلف نواحي التعليم، ولم يقتصر التعليم على البنين فقط؛ بل شمل البنات، فقفز التعليم قفزات واسعة في جميع المجالات، وأقيمت للمدارس المباني الضخمة والقصور الشاهقة على اختلاف أنواعها ما بين رياض أطفال ومدارس ابتدائية ومدارس متوسطة ومدارس ثانوية وجامعات؛ مما يدل دلالة واضحة على مدى حكمة الملك عبدالعزيز وحسن اختياره وبعد نظره.

وذهب إلى جوار ربه مطمئنًا أنه قد سلَّم الأمانة إلى أيادٍ أمينة تواصل مسيرة الخير والعطاء، فرحم الله الملك عبدالعزيز، وأطال عمر الملك فهد بن عبدالعزيز لخدمة الإسلام والمسلمين، وشد أزره بإخوانه الأمناء المخلصين من نواب وأمراء وجميع الأسرة الكريمة.